

كل لحظة ونحن أجبنة

بطموحاتنا وأحلامنا وأفكارنا، سنجدنا أننا حينما نحس حياً عاماً ستكون الحياة أجمل وأبهى، وعذائنا، وأنا بتنا نحس كل ما يحيط بنا، سواء كأشخاص أو أماكن، وسنلقي الحلول لجلب مشاكلنا، وبالتالي فإن كل شيء يتغير من حولنا، والعكس صحيح في حال فقدنا الحب الذي نصبو إليه، حيث يحيط بنا السواد والعتاء والاعتف المضاد، بينما لو حافظنا على بعض من طفولتنا وبعض الحب بدواخلنا، لكننا اليوم قد انتمينا من هذا النفق المظلم الذي لا نهاية له إلا بالحب الذي سيفضي حتماً إلى نمو براعم الإنسانية فينا، ومن ثم نتكمن من رؤية الآخر كما نرى أنفسنا، فنطمح ما نعطي لأنفسنا من حقوق، ونطالب أنفسنا بما نطالبه به من واجبات..

الكرامية والحدق والعداء بدلاً من المودة والرحمة والحب فيما بيننا، فصارت نظرات الخوف والرعب بادية على مديتنا جميعاً من ذلك الآخر الذي يجادلنا لشعور ذاته، وبالتالي صار ابتعادنا كل عن الآخر أعمق وأقسى، وكما لكل سبب نتيجة منطقية فإن الحدق والكرامية لن تولد إلا التفرقة والعتف والاعتف المضاد، بينما لو حافظنا على بعض من طفولتنا وبعض الحب بدواخلنا، لكننا اليوم قد انتمينا من هذا النفق المظلم الذي لا نهاية له إلا بالحب الذي سيفضي حتماً إلى نمو براعم الإنسانية فينا، ومن ثم نتكمن من رؤية الآخر كما نرى أنفسنا، فنطمح ما نعطي لأنفسنا من حقوق، ونطالب أنفسنا بما نطالبه به من واجبات..



الفالنتاين والسوريون في ظل الحرب الدائرة

للاحتفال وإشعار من هم بحاجة إلى أبسط متطلبات الحياة بالحسرة، ومن جهة أن إنسانيتهم لا تسمح لهم بالاحتفال وأولاد بلدهم منهم من استشهد ومنهم من فقد أو هجر ومنهم من لا يملك من لا يملك من قوعه فمن العشاق من يقول إن هذا العيد سيمر وأنا أذرف دموع الحزن على خطيبي الذي استشهد وهو يؤدي واجبه الوطني، فلقد اختار معشوقه غيري وهي سورية فهيناً له اختياره! ومنهم من يقول إنه يجب أن لا نتفق حزناً مع كل مناسبة بسبب ما يحدث وكأنها هزيمة، بل يجب أن نكمل حياتنا التي لن تنفصل عن موم وطننا. أما بالنسبة لصاحب محل زهور فقال: مع بداية الشهر لم تعد تصلنا الزورد والزهور كما في السابق، فقد دخلت سوق الاحتكار، وياتت الوردة بسعر ٤٠٠ ليرة وترتفع طبعاً حسب النوع، وهذا طبعاً لسنا مسؤولين عنه، لأن هناك موردين وموزعين. أما الغالبية فأصرت على التمسك بالاحتفال تعبيراً عن الصمود في وجه الأزمة وعدم الاستسلام لها ثقة منهم بأنهم سحابة صيف وستمضي، وبين ذلك دخلت سوق الاحتكار، وياتت الوردة بسعر ٤٠٠ ليرة وترتفع طبعاً حسب النوع، وهذا طبعاً لسنا مسؤولين عنه، لأن هناك موردين وموزعين.

الاحتفال وإشعار من هم بحاجة إلى أبسط متطلبات الحياة بالحسرة، ومن جهة أن إنسانيتهم لا تسمح لهم بالاحتفال وأولاد بلدهم منهم من استشهد ومنهم من فقد أو هجر ومنهم من لا يملك من لا يملك من قوعه فمن العشاق من يقول إن هذا العيد سيمر وأنا أذرف دموع الحزن على خطيبي الذي استشهد وهو يؤدي واجبه الوطني، فلقد اختار معشوقه غيري وهي سورية فهيناً له اختياره! ومنهم من يقول إنه يجب أن لا نتفق حزناً مع كل مناسبة بسبب ما يحدث وكأنها هزيمة، بل يجب أن نكمل حياتنا التي لن تنفصل عن موم وطننا. أما بالنسبة لصاحب محل زهور فقال: مع بداية الشهر لم تعد تصلنا الزورد والزهور كما في السابق، فقد دخلت سوق الاحتكار، وياتت الوردة بسعر ٤٠٠ ليرة وترتفع طبعاً حسب النوع، وهذا طبعاً لسنا مسؤولين عنه، لأن هناك موردين وموزعين.

من القلب إلى القلب

عماد خداف

والياسمين والحمامة والياسمين!

دافئة رغم الصقيع الذي غطى البلاد.. فتح صاحبي الباب، وقال لي: .تفضل.. البيت بيتك.. ودخلت إلى البيت، لم تكن العصافير قد هجعت إلى أعشاشها بعد، عندما استقبلتنا بموجة من الزقزقة أحسست فيها أن البيت مليء بالسرور، وتذكرت العبارة التي كان الزائرون يرددونها قبل الدخول من الممر إلى باحة البيت، فقلت مستتذناً: يا الله! ضحك صديقي، وهمس لي مطمئناً: لا أحد في البيت! أصحابه هاجروا وأن الشام ذاهبة إلى الخراب! من قال إن كل حروب العالم يمكن أن تلغي اسم سورية؟! ثم من قال إن الشام ليست روحاً خالداً؟! كان رائحة الياسمين تفوح في أرجاء البيت، وكانت أزهاره البيضاء ترسم أملاً في كل الاتجاهات.. ويجوار الممر تراتم أغصان شجرة برتقال يافاوي لوتنها الشمار وكأنها تتنادى من يقطفها.. وكان هناك شجرة نارنج وكباد ودالية من العنب الزيني.. أدخل يارجل.. ترى بأم عينك! دخلت، فإذا الستاتي تتجول حول البحرة، وإذا بسلحفاة عجوز تسير باتجاه أحواض النباتات وخلفها سلحفاة صغيرة كتب أحد الأطفال على ظهرها بالوان زينية: (هذه سلحفاة عصام)! نظرت إلى السماء، وقلت: يارب أبعدُ الحرب عن هذه البلاد!

imadnaddaf@hotmail.com

حبوا.. تركوا!

لئن جاء لقائهما، أشبه ما يكون بمعاهدة، منه بلقاء عابر، فعلى دروب الفن تلاقيا، أسباب الثقافة جمعتهما، وأغاني فيروز تكفلت بمزاجه سائر ما لديهما من اهتمامات.. وتعاهدا على الصدق والإخلاص والمبادأة، كلما نهض فيهما الودة، واستطاب لهما الوصل.

١.. يدفع مطلق من تسارع دقات قلبه في أذنيه، ومع سقسقة صوت فيروز الساحر في وقت يا أسمر.. في إلك عندي كلام، لم يكن لديه مشكلة في استيقافها واستدراجها للكلام، ولم تر مانعاً من مواقفته وملاطفته، والترحيب به كموظفة في المركز، ولا في قبولها منه وردة وكتاباً باللغة العربية، هدية رمزية بمناسبة عيد الحب، المصادف في ذلك اليوم.

٢.. مع توالي الأيام والأعوام، تالتت لقاءاتهما، اشدت عود توافقهما، وانسجمت مشاعرهما. حتى فاضت مياه عواطفهما، على منسوب الصداقة بين رجل وامرأة.. إلى حد أصبح معه، هو شاعرها ومفضلها الوحيد، وهي حبيبته وملمته الأوسة. الفارق الأكبر فيما بينهما: أنها عصامية متحفظة، تعتمد بحبال الصبر وتكظ على شفاه أحاسيسها بأسنان الصمت، وأنه شاعر شفاف ويعتد بالتعبير عن أحاسيسه.

٣.. في السنوات الأخيرة، لم تعد زينة تتحرج من مكاشفة حسن لها، بلقذات أشواقه وأصداء عذباته، منلما كانت في بدايات علاقتهما، التي تصفها بأنها



فأما ذلك سورية

قال نزار قباني: (بدوي الجبل السيف اليماني الوحيد المعلق على جدار الشعر العربي، في حنجرته ألف لبيد وألف شريف رضي وألف أبي تمام. لا تستطيع إلا أن ترقع قبعتك وتنحنى باحترام أمام عبقريته). وقد ذهب عبد الوهاب البياتي أبعد، فقد قال: (من يكتب شعراً بعد بدوي الجبل فسزوميه بجزر). ولد بدوي الجبل في قرية ديفة، وهي من القرى الجبلية المتناثرة قبالة الساحل السوري في عام ألف وتسعمئة وخمسة ميلادي، وعلى يدي والده الشيخ سليمان الأحمد كانت تربيته الدينية والأدبية. يقول بدوي الجبل: (بدأت القراءة بالقرآن الكريم ثم قرأت على أبي، برغبة منه، الحديث الشريف، ونسج البلاغة لأبي المؤمنين علي بن أبي طالب، ثم قرأت على أبي بعد ذلك للزوميات لأبي العلاء المغربي، وكان معجباً بها، وله شرح على الزوميات لم يكتب في العربية من طرازه عن أبي العلاء. ثم قرأت عليه شعر المتنبي وأبي تمام والبحتري والشريف الرضي ومهيار الديلمي والحامسة لأبي تمام. وكان أنجال قراءتي يفسر لي المفردات والمعاني، ويلفت نظري إلى جمال الصور، ويصحح لي كل خطأ أخطئه عند التلاوة، ولا سيما عين المضارع).

اسم الحقيقي لبديوي الجبل هو محمد سليمان الأحمد، ولعل الصواب في ذلك سبب هذه التسمية قد وافق أكثر ما وافق المرحوم محمد الخطيب في دراسته التي نشرها عن بدوي الجبل عام ألف وتسعمئة واثنين وستين. كان شيخ الصحافة العربية إذ ذاك الأستاذ يوسف العيسى قد ذكر في صحيفة (ألف باء) نبأ المناضل الأيرلندي (ماك سويني) الذي أعلن الصيام حتى الموت احتجاجاً على وجود الإنكليز في بلاده وألف صلاة وطنية بدأ الأيرلنديون يرتلوها في كنائسهم، وقد هز هذا الموقف شاعرية الفتى، فكتب من وحي ذلك قصيدة مثبته في ديوانه وأرسلها إلى الصميمة. وفي اليوم التالي راعه أن يجد القصيدة منشورة وقد دُيئت بتوقيع (بدوي الجبل). ولما ذهب ليبحث لدى صاحب الجريدة قابلته هذا الأخير بكل مودة وتقدير، ثم تلمظ في الحديث إليه فقال له: إن اسمه في ميدان الشعر مازال مغموراً وأن الناس قد تعودوا أن يقرؤوا لأسماء معروفة لديهم، لذلك لم يكن هنالك بدٌ لجذب هؤلاء القراء من أن يقدم لهم هذا الشعر البديع تحت اسم مستعار. وفي الواقع فقد أخذ الناس حين ذاك يخمنون أن بدوي الجبل إما خير الدين الزركلي وإما خليل مردم، وفضى الأمر هكذا عاماً كاملاً. كانت التصاوت التي تحمل توقيع بدوي الجبل تتوالى على صفحات (ألف باء) وكان الناس يقرؤونها ويظنون لها ويمضون في حسدوم وظنونهم. وفي نهاية العام أقام يوسف العيسى حفلة دعا إليها علماء البلد ومثقفيه، وقدم إليهم بدوي الجبل، وقد دهشوا لما عرفوا في هذا الفتى الغض الإجاب ذلك الشاعر الكبير الذي أطربهم وأعجبهم. إن الذي أوحى بهذا القلم ليوسف العيسى هو لباس الشاعر البديوي، فقد كان يرتدي العباءة والعقال الذهبي المصب، فكان بدوي الظاهر، في حين أنه ينحدر من الجبل، وهكذا اهتدى إلى هذا اللقب الذي كان له فيما بعد شأن وأي شأن في تاريخ الأدب العربي. اتصل بالشيخ صالح العلي في جبال اللاذقية، ويوسف العظمة وزير الدفاع في الحكومة الفيصلية. بعد دخول الفرنسيين إلى سورية. اعتقل في حماة ثم نقل إلى بيروت فللاذقية قيل أن يطلق سراحه. استنمالة الفرنسيون بعد تقسيم سورية فعيّنه نائباً في المجلس التمثيلي لما سمي (دولة العلويين)، لكنه غير اتجاهه السياسي فيما بعد وانضم إلى الكتلة الوطنية وأصبح من معارضي الانفصال. انتخب نائباً في المجلس النيابي عام ألف وتسعمئة وسبعة وثلاثين، وأعيد انتخابه عدة مرات. ضيق عليه الفرنسيون بسبب معارضته فلجأ إلى العراق عام ألف وتسعمئة وتسعة وثلاثين. عاد إلى دمشق ثم اللاذقية، فاعتقله الفرنسيون وأطلقوا سراحه بعد ثمانية أشهر. تولى عدة وزارات منها الصحة عام ألف وتسعمئة وأربعة وخمسين، والدعاية والأبناء. غادر سورية عام ألف وتسعمئة وستة وخمسين منتقلاً بين لبنان وتركيا وتونس قبل أن يستقر في سويسرا. عاد إلى سورية عام ألف وتسعمئة واثنين وستين، وأمضى سنواته الأخيرة في منزله بدمشق، بعد أن خرج من الحلبه السياسية، وقد قال مرة كما نقل عنه صديقه أكرم زعيتر الذي وضع مقدمة ديوانه: (لا بارك الله في الساعة التي جرّتي فيها الضعف الإنساني إلى النيابات والوزارات)، وتوفي عام ألف وتسعمئة وواحد وثلاثين ميلادي.

الذكرى السنوية لتأبين الحب

وتكوين العلاقات العاطفية، فنباته على النصرانية هو ما شفّع له، وقد عرض عليه الإمبراطور أن يعفو عنه على أن يترك النصرانية ليعبد الهة روما ويجعله صهراً له، إلا أن (فالتناين) رفض هذا العرض ليتمخّذ فيه حكم الإعدام في ١٤ شباط (فبراير) عام ٢٧٠ ميلادي ليلة ١٥ شباط (فبراير) عيد (لوبريكاليا)، ومن ذلك اليوم أطلق عليه لقب قديس، وبذلك انتشر في أوروبا على أن ١٤ شباط هو عيد القديس (فالتناين) إحياءً لذكراه، وبات من طقوس ذلك اليوم ورود الحمرات ويطاقات بها صور (كيوبيد).. إلخ. وسرت العادات على اعتبار هذا اليوم عيداً للحب، وهذا إهانة للقديس فالتناين الذي كان مناصراً للعاطفة والشاعر الإنسانية، لأن العيد اليوم ليس إلا تشويهاً للعاطفة الحقّة ومتاجرة بالشاعر. فأين الحب في زماننا هذا؟ في الزمن الذي أمست إحدى أهم سماته الحرب والقتل والذبح والدم؟

كان الرومان يحتفلون بعيد يدعى (لوبريكاليا) في ١٥ شباط (فبراير) من كل عام، وفيه عادات وطقوس وثنية، فكانوا يقدمون القرابين لأهتهم المزعمومة كي تحمي مراتبهم من الذئاب، وكان هذا اليوم يوافق عندهم عطلة الربيع، فقد كان حسابهم للشهور يختلف عن حساباتنا حالياً، ولكن حدث ما غير هذا اليوم ليصبح عندهم ١٤ شباط (فبراير) في روما في القرن الثالث الميلادي، وبعد ميلاد المسيح كان الدين النصراني في بداية نشأته، وحينذاك كان يحكم الإمبراطورية الرومانية كلايديس الثاني الذي حرّم الزواج على الجنود حتى لا يتشغل عن خوض الحروب، لكن القديس (فالتناين) تصدى لهذا الحكم وكان يتم عقود الزواج سرراً، ولكن سرعان ما افتضح أمره وحكم عليه بالإعدام، وفي سجنه وقع في حب ابنة السجن وكان هذا سرّاً، إذ يحرم على القساوسة والرهبان في شريعة النصارى الزواج

ثراء ملك